مراكش

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

قطر شفين جريح ؛ وكلنا فى الهم شرق !

إيه ياشرق! أما لليلك من آخر ؟ وهل افجرك من شروق ؟ إننى حيثما قلبت النظر لم أجد إلا شعبا كليما، وحيثما أدرت البصر

وبين المؤمنين من الرعية هى علاقة متممة بعضها لبعض . أسسها ديمقراطى؛ وهى لذلك من أهم الدعائم التى تحفظ التكامل الاجتماعى

ومن الأخطاء التى يقع فيها بعض نقدة الذين أنهم ينتقدونه ممثلا فى بعض حفظته . ومثلهم كمثل من ينتقد النظام البرلمانى لفساد بعض النواب وقصورهم . وهذا النقد فوق أنه خاطئ فإنه شر يمس صميم التكامل الاجتماعى الذى هو هدف كل حركة إصلاحية؛ دينية كانت أم سياسية أم اقتصادية

وقد يزداد شر هذا النقد على أسس ذلك التكامل أن يقوم بعض حفظة الدين بتولية أنفسهم سلطة ديكتاتورية لم تعترف بها العقيدة ولم تشرعها السنة أو السلف الصالح

وتفادى هذا الشر لا يكون إلا بترقية أساليب النقد ووسائل الرد عليه . وفى عالم تزداد المعرفة فيه يوما عن يوم فإن على الناقد والمنتقد معاً أن يدركا مقدرة الناس على تمييز المنطق المخطئ أو المصيب حين تكون تعاليم الدين سهلة مبسطة واضحة بينة كما هو الحال فى الإسلام

فإذا عجز حفظة الدين عن تسليح أنفسهم بسلاح المنطق العلمى الحديث والمعرفة والعلوم العصرية فإنهم بذلك يسيئون إلى صميم العقيدة الدينية ويبثون فى نفوس بعض الناس شكا وارتيابا ما كان ليثار لو أن الإقناع كان باللغة التى يفهمها أهل الجيل، وهى لغة تستمد تعابيرها ومنطقها من الحقائق الاجتماعية التى يعيشون فيها ومن مناهج تعليمية، النبوس الدينية فيها قبل أن تحظى بانتباه أو أن تعالج بالقدر الذى تستحقه نظراً لأهمية الدور الذى يؤديه الدين فى النظام الاجتماعى

نيويورك «البحث صلة» عمر عليوى

لم أر إلا هما مقيما !

يا شرق ! لقد أتى عليك حين من الدهر كنت تدبر الدنيا وتتحكم فيها، وكان العالم يحسب لكلمتك ألف حساب وحساب، يتقرب الملوك إلى خلفائك، وتخضع الشعوب طوعا لإرادتك. ثم انقلبت الآية وجاء حين آخر فإذا بك إذا ذكر الأحياء لا تذكر. والأمم لا تعيش فى ماضيها وإنما تعيش فى حاضرها ومستقبلها، فهل آن لجدك أن يعود ؟

وأنت أيها الغرب عجبا لك : تؤمن بمبادئك وتكفر بها فى وقت واحد ؟ فأنت تؤمن بالحرية فى بلادك وتكفر بها فى غير بلادك . وأنت تؤمن بالمساواة فى ديارك وتنكرها على غيرك من الشعوب والممالك . وأنت تؤمن بالديمقراطية وتطعنها فى سائر الأقطار ! أما آن لك أن تفىء إلى رشدك وأن ترتدع عن غيك ! تالله إنك إن لم تئب إلى عقلك فإن أزمة حامية لن تبقى ولن تذر سوف تقتلع مدنيتك وتقضى على حضارتك

وأنت يا فرنسا يامن تقولين إنك مبعث النور والحرية ، وأم الإخاء والمساواة والديمقراطية ! أما تذكرين أنك منذ عشر سنين سقطت تحت أقدام المحتلين من الألمان فداسوا حريتك وبكى رجالك، وشرد نساؤك وأطفالك ، وما زلنا وما زال العالم يذكر ديجول وهو يبكى من دار الإذاعة فى لندن على حريتك المسلوبة وعلى شعبك المسكين ! أما آن لك أن ترتدعى عن غيك وأن تحترمى الحرية وأن تقدسيها فى غير بلادك ؛ فما يعرف طعم الحرية إلا من ذاق ألم السجن ، وما يقدر الصحة إلا مريض عوفى من مرضه . خبرينا ماذا دهاك وماذا صنعت بمراكش ؟ وعلى أى أسس ومبادئ أنحت لقائدك جوان فعاث فيها فسادا وبطشا وإرهابا وطغى شعبا وأذل سلطانا ؟

ثم طلعت جريدة الإيكونومست البريطانية منذ أيام تطالب إلى الحكومة البريطانية بمناسبة الحالة فى إيران أن ترسل بوارجها إلى مياه الخليج الفارسى لأن الشعوب الإسلامية لا تخاف إلا بالقوة فكأنما نحن الشرقيين نستهدف لحملة مدبرة من الغربيين. ولعل من الخير لنا إذن أن نعرف بلادنا وأن نعمل على جمع كلمتنا وإنى هنا أقطع حديثى الأول عن مراكش

أين تقع مراكش

هنالك فى شمال غرب قارة أفريقيا توجد مراكش وهى تطل على البحر الأبيض وتشرف على المحيط الأطلنطى ، وتتكون من سهول ساحلية خصبة تتدرج فى الارتفاع فى الداخل حتى تنتهى إلى جبال مراكش ، وبها أنهار قصيرة تصب فى البحر الأبيض والمحيط الأطلنطى ، ومناخها صيفا حار جاف ، وشتاؤها دافئ ممطر ، وتتغذى أنهارها صيفا على ذوبان الثلوج فوق الجبال

وفى السهول يشتغل السكان بالزراعة فيزرعون القمح والشعير والخضر والزيتون والفاكهة . وعلى الحشائش ترعى الأغنام والماعز وعلى الجبال توجد غابات البلوط والفلين . وبها من المعادن الفوسفات والنحاس والرصاص والزنك

ويشتغل كثير من السكان باستخراج الاسفنج وصيد السمك . وأما الصناعة فما زالت متأخرة ؛ ومعظم الصناعات تعتمد على الإنتاج الزراعى والحيوانى مثل دبغ الجلود وعمل المصنوعات الجلدية الرقيقة وصناعة البسط والأغطية الصوفية واستخراج الزيت

ولعلك تسألنى متى دخلت مراكش فى الإسلام وما هو الدور الذى لعبته فى تاريخه ؟ وأنا أجيبك بأنها دخلت الإسلام منذ تم فتحها فى عهد الوليد بن عبد الملك ومنها خرج الجيش العربى بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير لفتح بلاد الأندلس

وقد كانت مراكش من بلاد الدولة الفاطمية حين تم تأسيسها ، ومن بلاد المغرب كانت تخرج سفن العرب فتملأ قلوب سكان إيطاليا وفرنسا فزعا ورعبا ، ثم خضعت للدولة العثمانية واستقلت عنها وقد حافظت على استقلالها حتى أوائل هذا القرن

الحماية :

فى نهاية القرن التاسع عشر انتابت أوربا حمى عنيفة من الاستعمار ووضعت كل من فرنسا وألمانيا عينها على مراكش . وكانت مراكش بلاداً متأخرة وكان سكانها من البربر يتحدون السلطان فى عاصمته فاس . وقد بلغ من سطوتهم أن أحد زعمائهم خطف مندوب بريطانيا ١٩٠٦ مما اتخذته الدول دليلا على عجز السلطان عن حماية الأجانب فى بلاده ؛ وذلك ما اتخذته الدول جميعا سبباً للقضاء على حرية الشعوب واستعبادها

وقد حاولت الدول أن تنشئ علاقات تجارية معها وكانت أسبقها فرنسا ، فكانت تستورد منها الليمون والصمغ وجلود الماعز المراكشى الشهيرة . ثم أقرضت السلطان دينا وبدأت القصة التى أدت إلى الاحتلال

فى ١٩٠٤ عقد الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا على أن تطلق إنجلترا يد فرنسا فى مراكش ، وتطلق فرنسا يد إنجلترا فى مصر

وفى ١٩٠٥ زار القيصر وليم الثانى إمبراطور ألمانيا ميناء طنجة وألقى خطبة ندد فيها بسياسة فرنسا الاستعمارية وأيد استقلال سلطان مراكش للمحافظة على مصالح ألمانيا الاقتصادية ، ودعا إلى تسوية المسألة فى مؤتمر دولى ، فعارضت فرنسا وكادت المسألة تؤدى إلى حرب

وقد اجتمع المؤتمر الدولى فى الجزيرة ١٩٠٦ ووافقت الدول على استقلال مراكش واتفقت على أن تحافظ على الأمن الداخلى كل من فرنسا وإسبانيا

وفى ١٩١١ عادت ألمانيا فأثارت المشكلة المراكشية من جديد ، ذلك أن فرنسا احتلت فاس عاصمة مراكش بدعوى المحافظة على النظام ، فأعلنت ألمانيا أن ذلك خروج على اتفاقية الجزيرة وأرسلت المدرعة « بانثر » إلى ميناء أغادير . وتوترت العلاقات بين فرنسا وألمانيا وانضمت إنجلترا إلى فرنسا وكادت الحرب تقوم . ولكن ألمانيا قبلت ما عرضته عليها الدول ، فقد عوضتها فرنسا عن مطامعها فى مراكش ببعض أراضيها فى وسط أفريقيا ، واعترفت ألمانيا بحماية فرنسا لمراكش

وتنقسم مراكش حاليا إلى الأقسام الآتية :

أولا : مراكش الفرنسية وهى تشمل معظم مراكش ويحكمها سلطان وطنى

ثانياً : مراكش الإسبانية ، وتعرف بالمنطقة الخليفية نسبة إلى خليفة سلطان مراكش ومركزه تطوان ، وتعرف هذه المنطقة ببلاد الريف

ثالثاً : طنجة ، وهى ميناء دولى

السلطان الأسير :

وقد نزعت مراكش أخيراً إلى الاستقلال عن فرنسا وشجع